اليهود المغاربة والكفاح الوطني: فرضيات الحياد والانخراط

MoroccanJews and The National Struggle Hypotheses of Neutrality and Engagement

د. سهام بلغيتي علوي: باحثة في التاريخ المعاصر، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، المغرب

Dr. Siham Belghiti Alaoui: Researcher in Contemporary History, Sidi Mohamed Ben Abdellah University, Morocco

Email:alaouihistoire@gmail.com

DOI: https://doi.org/10.56989/benkj.v3i4.213

الملخص:

غالباً ما يتسم العمل على المواضيع الذي تتعرض لتاريخ اليهود المغاربة خلال فترة الحماية بصعوبة التعاطي مع مختلف محاوره، بالنظر إلى تعدد العقبات التي تعترض الراغبين في دراسة بعض محاوره والمرتبطة أساساً بمدى بتوفر المادة الوثائقية والقدرة على الوصول إليها ودراسة وتحليل مضامينها، ناهيك عن قلة الدراسات والأبحاث السابقة، خاصة الدراسات التي تُعنى بإسهام اليهود المغاربة في المقاومة والكفاح المسلح لنيل الاستقلال ومواقفهم من الحماية والحركة الوطنية، وهو الأمر الذي حاولنا التركيز عليه. وهدفت الدراسة إلى رصد طبيعة إسهام المكون العبري في النضال السياسي والكفاح المسلح لنيل استقلال المغرب عن نظامي الحماية الفرنسية والاسبانية، من خلال تتبع طبيعة تعاطي المجتمع اليهودي المغربي ونخبه مع مجموعة من الاحداث، كمسألة الحمايات الاجنبية أواخر القرن 19 وموقفهم من فرض الحماية وتقسيم المغرب وردود فعلهم إزاء مطالب الحركة الوطنية، ناهيك عن محاولتنا تفكيك عناصر بعض الفرضيات المرتبطة بتفسير حياد بعض اليهود عن الانخراط في العمل الوطني أو الانخراط فيه، رغبة منا إعطاء صورة أكثر واقعية عن إسهام اليهود المغاربة في مسلسل الكفاح الوطني بشقية السياسي والمسلح الذي قاد المغرب نحو الاستقلال.

الكلمات المفتاحية: اليهود، الحركة الوطنية، المغرب، الحزب الشيوعي المغربي.

Abstract:

The work on topics that are exposed to the history of Moroccan Jews during the period of protection is often **characterized** by the difficulty of dealing with its various axes, given the multiplicity of obstacles facing those wishing to study some of its axes, mainly related to the availability of documentary material and the ability to access it and study and analyze its contents, not to mention the lack of studies and research. Previous studies, especially studies dealing with the contribution of Moroccan Jews to the resistance and the armed struggle to achieve independence, and their positions on protection and the national movement. The study aimed to monitor the nature of the contribution of the Hebrew component to the political struggle and the armed struggle to achieve the independence of Morocco from the French and Spanish protectorate regimes, by tracing the nature of the Moroccan Jewish community and its elite's dealings with a

group of events, such as the issue of foreign protections The end of the 19th century and their position on imposing protection and dividing Morocco and their reactions to the demands of the national movement, not to mention our attempt to dismantle the elements of some hypotheses related to the interpretation of the neutrality of some Jews from engaging in national action or engaging in it, in our desire to give a more realistic picture of the contribution of Moroccan Jews in the struggle series The patriot, the politician and the gunman who led Morocco towards independence.

Keywords: national movement, Morocco, Moroccan communist party,

المقدمة:

لا جدل يثار حول مساهمات أبناء الجماعة اليهودية المغربية في المجال السياسي، والمتصفح لتاريخ المغربي القديم والحديث، يدرك حجم هذا الدور، بل يكفي معرفة أن كل الدول التي تعاقبت على حكم المغرب– حتى بعد دخول الدين الإسلامي– جعلت لهذه الطائفة مكانة مهمة في بلاط قصورها، فلم يكن أبراهام بن كمنيالإلا وزيرا وأميرا في دولة المرابطين، وفي عهد الموحدين كان ابن شلوخة خازن بيت مال المسلمين، كما شغل المنصب نفسه موشي بن عطار في عهد السلطان إسماعيل.

ويظهر جليا إسهامات غير مسبوقة لليهود المغاربة في الحركات النقابية والتطورات السياسية التي شهدها المغرب خلال سنتي 1943 و1944، والتي كان من أهم نتائجها المطالبة بالاستقلال في في 11 يناير 1944، فقد كان لليهود نشاطا ملحوظا في صفوف الأحزاب السياسية المغربية.

انطلاقا من البحث والتنقيب في الموضوع، وسعيا لإيجاد إجابات شافية سأتطرق لها في الموضوع بالتدقيق. فلقد وقفت على انه بالرغم من اتسام موقف الطائفة اليهودية بالحياد في عدد من المحطات النضالية التي شهدتها السنوات الأخيرة للحماية، إلا انه لا يمكن التغاضي عن إسهام عدد منهم في مقاومة المخططات الاستعمارية.

والجدير بالذكر أن اهتمامي في إثراء هذا الموضوع هو اهتمام باحثة مبتدئة وشغوفة بالقضايا التاريخية لليهود المغاربة. وتسليط الضوء على قضية أسالت الكثير من المداد، ولازالت رغم ذلك في حاجة إلى اهتمام أكبر للإقتراب من رسم حقيقة تهم مكون مهم من مكونات المجتمع المغربي.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

ولرصد أهم التحولات التي عاشتها هذه الفئة انطلقت من سؤال جوهري يعتبر الإشكالية العامة التي يتمحور حولها البحث مفاده: هل كان للمكون العبري إسهام في النضال السياسي والكفاح المسلح لنيل استقلال المغرب عن نظامي الحماية الفرنسية والاسبانية؟

وللوقوف على الإشكالية العامة كان لزاما الإجابة على مختلف التساؤلات المرتبطة بالموضوع: إلى أي مدى كان اليهود المغاربة يعتبرون الحركة الوطنية ممثلا لهم ولتطلعاتهم؟ وما هي مواقفهم من المؤسسات الرسمية التي أنشئت لتمثيلهم كمجلس الجماعات اليهودية بالمغرب؟

منهج الدراسة:

ولدراسة الإشكالية المتعلقة بالموضوع، اعتمدت الوصف التاريخي مع تركيب الأحداث والوقائع وتحليلها واستنباط الخلاصات والاستنتاجات.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة في الأساس فك قضية شائكة تهم فئة لعبت دورا مهما في التاريخ المغربي الاجتماعي والسياسي، ومعرفة مدى مواقفهم ودورهم في النضال السياسي لنيل استقلال المغرب.

أولاً: اليهود المغاربة والحماية:

لقد فرضت السياسات المالية المجحفة أحيانا التي انتهجها المخزن المغربي إزاء عموم المغاربة أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، –مدفوعا في ذلك بتكاليف الديون والحروب الأهلية التي اندلعت خلال هذه الفترة– على اليهود البحث عن ملاذات آمنة تجلت في إقبالهم على طلب الحماية الأجنبية من قناصل الدول الأوروبية الممثلين في المغرب، وهو الأمر الذي كان وراء تعدد المطالبات الأجنبية بضرورة حفظ اليهود في أموالهم وفي أنفسهم أيضا. وهو التوجه الذي خلف ردود فعل متباينة من المخزن ومن عموم المجتمع المغربي خلال هذه الحقبة، نجد لها صدى في تعدد الآراء الفقيهة من عملية إقبال اليهود على الحماية الأجنبية والسعي لدى المخزن من أجل تبيان حقيقتها والتحذير من آثارها ومآلاتها باعتبارها خطرا على الدولة والمجتمع والدين.

1– اليهود المغاربة والحماية: قراءة في الوضع الجديد

مع بداية فرض نظام الحماية عبر عدد من اليهود عن غبطتهم واستبشارهم بقدوم الفرنسيين وما يعنيه ذلك من حماية لهم وتقويض الأنظمة المالية والقانونية والاجتماعية التي صنعت معاناتهم طيلة قرون خلت، لقد تحول هذا الشعور إلى ما يشبه اليقين بأن فرنسا هي القوة الوحيدة القادرة على

حماية اليهود، لاسيما وأنه عمليا وقانونيا، تم القطع مع الممارسات الدونية المؤسس لها على عقد الذمة، واستبدلت بقوانين لا تميز بين مسلم ويهودي، وجعلتهما سواسية أمام القانون، وفي العلاقة مع السلطان والسلطات المخزنية، وهو ما اعتبره جمهور اليهود مكسبا ما كان ليتحقق لولا صرامة السلطات الفرنسية، فباتوا مدينين لها به.

والجدير بالذكر، أنه لاعتبارات، تاريخية ودينية واجتماعية كان يعتبر اليهود غير مكلفين بالدفاع عن البلد في حالة تعرضه للغزو وهو أمر دشن له مع تأسيس أول دولة إسلامية في المغرب في القرن الثامن الميلادي. فقبل قيام دولة الأدارسة، كان مخولا لليهود حمل السلاح والدفاع عن التراب ضد كل محتل، لذلك تؤكد المصادر الإخبارية أن "البربر" قاوموا الفتح العربي، وكان بين صفوفهم يهودا، بل ذهب الأمر ببعض الكتابات إلى نعت أبطال المقاومة الأمازيغية باليهود. وغير خفي، ما لحمل السلاح وسط الجماعة من الأثر في الإدماج والاندماج، لأنه الواجب الذي يعطي الحق في الانتماء وإبداء الرأي في القضايا المصيرية. أما وقد تأسس المجتمع الجديد عن قاعدة الإيمان بالرسالة المحمدية، وامتدادا له استثناء أهل الكتاب من "الأمة"، فإن اليهود، لاسيما بعض القضاء على الكنيسة المغربية زمن الموحدين وبقاءهم الأقلية الوحيدة، اعتبروا أنفسهم، واعتبرهم المسلمون كذلك، خارج الأمة، لا يهمهم ما يهمها. ولا نعرف في المصادر الخاصة بالجهاد إشارة تدل على مشاركة يهودي ما في الجهاد ضد الإسبان والبرتغال، ولا ما يصرح بدعوة جماعة يهودية للمشاركة في الدفاع عن أرض أو موقع أو حتى تقديم العون مباشرة خلال الاقتتال. والحال أنه عند وصول الفرنسيين والإسبان إلى المغرب، لم يعتبر اليهود أنفسهم معنيين بالدفاع عن الأرض، خاصة لما علموا أن التهدئة تتم باسم السلطان الإمام أمير المؤمنين. واستمر هذا الشعور قائما زمن الحماية، بل تكرس بقوة تجاهل الحركة الوطنية لهم خلال المبادرات المتنوعة التي أقدمت عليها، أول الأمر عقب إصدار الظهير البربري (ظهير 16 مايو 1930)، وبرنامج الإصلاحات، ووثيقة المطالبة بالاستقلال، ومبادرات أخرى حصلت في العقد الأخير من الحماية.

2- دور التعليم في تعميق التغريب الثقافي لليهود المغاربة على عهد الحماية:

من جهة أخرى، يجدر بنا الالتفات إلى عنصر آخر كان له دور كبير في بلورة مواقف اليهود من الحركة الوطنية والكفاح ضد المستعمر، حيث لعب نظام التعليم العصري الذي خضع له اليهود خلال فترة الحماية دورا في تعميق التغريب الثقافي لليهود المغاربة وتجريدهم من خصوصياتهم اللغوية والثقافية المشتركة مع بقية أفراد المجتمع المغربي، وهو الأمر الذي تصدت له مجموعة من المنظمات والجمعيات اليهودية في مقدمتها الرابطة اليهودية العالمية L'AllianceIsraéliteUniverselle.

لقد تلقى الأطفال اليهود تعليما فرنسيا بالمعنى الواسع، وباتوا لا يتحدثون سوى الفرنسية، ومعارفهم الفلسفية والعلمية فرنسية بحتة، وقناعات مستقاة من الأفكار الإنسية المروج لها في الأدبيات الكلاسيكية. والحال أضحى إلى انسلاخ المتعلمين عن كيان مزدوج التركيبة، يهودي ومسلم، غارق حسبهم في تيوقراطية وسيطية لا أمل في تصحيحها، فبالأحرى القضاء عليها. ونجد في التحاليل المستفيضة للكاتب اليهودي ذي الأصول التونسية، ألبير ميمي Albert Memmi، وصفا دقيقا لمجمل الأوصاف المتأصلة في نفسية هذه الفئة المتنكرة لكل ما هو أصيل ومن صميم ثقافة البلاد (Albert Memi, 1967, p55).

لقد أضحت "الوطنية"، مصطلحا ومفهوما– تعني بالنسبة للمتعلمين اليهود كل ما هو رجعي ولا أخلاقي، وتختزل في العداء لفرنسا والتنكر لفضائلها ورفضا لما تقوم به من تدبير محكم يخدم بالدرجة الأولى الأهالي والإنسانية جمعاء، ويعمل أصحابها لصالح الفيودالية على النمط المشرقي والإمبيرياليةالأمريكية والشيوعية العالمية... ونُظر إلى الوطنيين بصرف النظر عن تكوينهم هل هو تقليدي (علال الفاسي على سبيل المثال) أو عصري (محمد بن الحسن الوزاني وأحمد بلافريج...)، وأصولهم الاجتماعية، ومرجعياتهم الفكرية، لا اقل ولا أكثر من كونهم شباب متهورون لا يدركون بالمرة معنى ما يطالبون به.

ثانياً: اليهود المغاربة والكفاح الوطني:

على الرغم من تشعب الامتدادات الشعبية للحركة الوطنية داخل مختلف شرائح المجتمع المغربي وما يعكسه ذلك من تعاظم شرعيتها التمثيلة ازاء نظام الحماية، إلا أنها ظلت حركة نخبوية خاضعة لمجموعة من العناصر المثقفة الواعية بطبيعة التحديات التي كانت تنتظر المغرب خلال هذه الفترة بما في ذلك الحفاظ على لحمة المغاربة في مواجهة السياسات الاستعمارية، وهو الامر الذي دفعنا الى طرح مجموعة من الأسئلة من قبيل، الى أي مدى كان اليهود المغاربة يعتبرون الحركة الوطنية ممثلا لهم ولتطلعاتهم؟ وما هي مواقفهم من المؤسسات الرسمية التي أنشئت لتمثيلهم كمجلس الجماعات اليهودية بالمغرب؟

1– أسباب تأرجح المواقف بين الحياد والانخراط

انطلاقا من البحث الذي أجريته، وسعيا مني لإيجاد إجابات شافية لعدد من الأسئلة التي تولدت لدي بعد أن تعددت قراءاتي لعدد من الدراسات والأبحاث المرتبطة بموضوع دور اليهود المغاربة في الكفاح من أجل نيل الاستقلال، فلقد وقفت على انه بالرغم من اتسام موقف الطائفة اليهودية بالحياد في عدد من المحطات النضالية التي شهدتها السنوات الأخيرة للحماية، إلا انه لا يمكن التغاضي عن إسهام عدد من اليهود في مقاومة المخططات الاستعمارية.

لقد كان موقف الحياد يمليه مبدأ الحفاظ على المصالح التي اكتسبها عدد من اليهود المغاربة زمن الحماية، الأمر الذي كان يفرض عليها عدم التصريح بموقف محسوم من بقاء نظام الحماية أو زواله. وتأسيسا عليه، يمكن القول بأن غالبية اليهود التزموا الارتقاب في انتظار انقشاع الغيوم حتى تتضح لهم الرؤية، وهو موقف أملته أيضا تخوفاتهم من التوجهات القومية والدينية لمختلف أقطاب الحركة لوطنية التي لم يكن عدد من قادتها يخفون بعض مواقفهم العدائية من اليهود عقب نكبة 1948، وهو الأمر الذي أعاد إلى عدد كبير من اليهود التخوف من إعادة الزج بهممن جديد في غياهب الملاحات، وفرض الجزية وإثقال كاهلهم بالغرامات والمكوس، وحرمانهم ن من الحقوق المدنية وفرص الشغل والتنقل والسكن...

وفي هذا الصدد، تشير العديد من الدراساتأن عدد كبيرا من اليهود المغاربة كانوا ضمنياً مع بقاء فرنسا، وهو ما يفسر صمت ممثلي الطائفة اليهودية عن إبداء الرأي عقب نفي السلطان محمد بن يوسف سنة 1953. لقد تحاشى مجلس الجماعات اليهودية الإفصاح عن موقف صريح، واكتفى في التعليق المنشور على صفحات نشرته الرسمية "La Voix des Communautés"، بالإعراب عن الأمل في أن تتطور الأمور إلى الأحسن مما يفسح المجال لتفعيل رزمانة الإصلاحات المقررة هاني وسام، 2018، ص60). وإذا كانت غالبية المسلمين قد عبرت عن رفضها للأمر الواقع ودخلت فعليا في مسلسل التصعيد، الذي انتهى بالإعلان عن نهاية الحماية، فإن الهيئة الممثلة لليهود اعتبرت أن الأمر لا يستدعي استنفارا خاصا ولا تصريحا محسوما في أمره، ولكنهم سرعان ما أدركوا أن المتغيرات التي تلت الحرب العالمية الثانية من شأنها تسريع حصول المغرب على استقلاله وهو ما دفع بهم بشكل تدريجي إلى تبني مواقف أكثر إيجابية من مسألة استقلال المغرب.

على الرغم من الموقف المحايد والسلبي لنخب مجالس الجماعات اليهودية التي عهد إليها بتمثيل اليهود المغاربة، إلا أن معظم اليهود ظلوا أوفياء للسلطان بن يوسف الذي عمل على حمايتهم من قوانين فيشي خلال الحرب العالمية الثانية، وهو الموقف الذي جسده عدد من الطلبة اليهود المقيمين بفرنسا بإفصاحهم عن رفضهم للسياسية الاستعمارية وتحذيرهم من تبعاتها إدراكا منهم لخطورة الوضع الطارئ الذي فرض على المغرب بعد نفي السلطان الشرعي واندلاع ثورة الملك والشعب. وأمام صعوبة انخراطهم في قطبي الحركة الوطنية حزب الاستقلال والشورى والاستقلال بالنظر إلى خلفيتهم الإيديولوجية، سارع عدد كبير من اليهود المغاربة إلى الالتحاق بصفوف الحزب الشيوعي الفرنسي، ثم ما لبثوا حين عودتهم للمغرب، أن عززوا صفوف الحزب الشيوعي المغربي (500 عضو سنة 1948 من أصل 6000 منخرط، نصفهم مغاربة والباقون أوروبيون)(Robert Rezette, 1955, p. 339) في مقدمته بنهاروش وكوهين وأوهانا وبنعطار والإخوة ليفي وآخرون الذين كونوا أولى الخلايا اليهودية لمقاومة الاستعمار واستقطاب أفراد آخرين لتعزيز وصفوفهم وهي

التحركات التي توجت بإصدار بيان سنة 1955 طالبوا من خلاله باستقلال المغرب (Simon Lévy, 1978, p87-90)، وكانوا من أوائل من ربطوا الاتصال بالدوائر الوطنية المسلمة. و يعود الفضل إلى هؤلاء اليهود التقدميين إلى إقناع الوطنيين المسلمين بإعطاء العنصر اليهودي القيمة التي يستحقها حين صياغة المنظومات النظرية لما يجب أن يكون عليه مغرب الغد.

الواقع أن الحزب الشيوعي بالمغرب شكل من حيث المرجعيات والتنظيم، إطارا أكثر من مناسب لاستقطاب الطاقات اليهودية المتعلمة. وليس الأمر بالظاهرة الحصرية في المغرب، ففي جميع أنحاء العالم المستعمر، مارست الشيوعية قوة جذب قوية على المتعلمين من الأقليات العرقية والدينية. ففي مصر كما في لبنان وسوريا والعراق وتونس والجزائر، ضمت الأحزاب الشيوعية أعدادا مهمة من اليهود، بل إن عديد اليهود ارتقوا إلى مناصب القيادة (Walter Laqueur, 2007, p90). وفيما يلي بعض الأسماء ووظائفها:

- **أفلالو** Aflalo وهو إطار نقابي انتخب شهر يوليوز 1934 كمقيم بالمكتب النقابي المهني لصناعة الأغذية وعمال المقاهي والمطاعم بالبيضاء(Albert Ayach, 1998, p29) .
- فيكتور بنشيمول (Victor Benchimol): شيوعي مغربي من قدماء تلامذة الرابطة اليهودية، اشتغل عاملا بمصنع للأحذية بالبيضاء، وشغل منصب الأمين العام لنقابة حرفيي الجلد، ونائب الأمين العام للاتحاد المحلي بالبيضاء، وعضوا في اللجنة التنفيذية للاتحاد العام للنقابات الكونفيدرالية المغربية (G.G.T).
- جوزيف ليفي (Joseph Levy) موظف ومحرر في الأسبوعية الشيوعية (L'espoir).
- جرمان عياش (Germain Ayache): مؤرخ وسكرتير الشبيبة الشيوعية المغربية منذ سنة 1938، واشتغل كأستاذ للتاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.
- ألبير عياش (Albert Ayache): اشتغل كأستاذ للتاريخ والجغرافيا بوجدة، ثم الدار البيضاء، وكان من أبرز أعضاء النقابة التعليمية. وقد انضم للحزب الشيوعي المغربي منذ تأسيسه سنة 1943، وله دراسات مؤصل لها في التاريخ الاستعماري والنقابات.
- أبرهام السرفاتي (Abraham Serfaty): مهندس وسياسي مغربي، انضم إلى الشبيبة الشيوعية منذ 1944، والتحق في السنة الموالية بالحزب الشيوعي الفرنسي. وفي ظل الاستقلال، تزعم "منظمة إلى الأمام" الماركسية اللينينية أواخر سنوات الستينيات (Albert Ayach, 1998, P. 98-96, 36-39).

2- علاقة اليهود المغاربة بالسلطان محمد الخامس:

وما يستوجب التسطير عليه هو أن اليهود اليساريون كانوا يكنون كل الاحترام والتقدير لشخص السلطان ورمزيته، وبنفس القدر للوطنيين من حزب الاستقلال وحرب الشورى والاستقلال، ثم في وقت لاحق، لجيش التحرير وخلايا المقاومة. (Alma Heckman, 2021.p.78) ويفصح العديد من الوطنيين وأعضاء جيش التحرير في ماروه من أحاديث عن عمق العلاقات التي ربطتهم بيهود شيوعيين قاسموهم نفس الهموم. ولعل من أبلغ ما يؤكد الأمر، اللقاء الذي خص به السلطان سيدي محمد بن يوسف، من موقعه كراعي لجميع المواطنين بصرف النظر عن انتماءاتهم المذهبية والدينية، وفدا من الحزب الشيوعي المغربي، غير عابئ بالمرة بانتقادات الإقامة العامة، ثم في وقت لاحق، مناوئيه من جماعة لكلاوي والشريف الكتاني، واتهامهم إياه بنصرة الإلحاد والشيوعية العالمية.) Charles-André Julien, 1978, p. 134)

وفي هذا السياق يحكي المناضل اليهودي المغربي جوزيف ليفي قصة كفاحه السياسي خلال الفترة: "عايشنا تطور الحركة الشعبية في سنة 1943-1944، أحسسنا بأنا كفاحنا داخل الملاح، في نوع من التحجر السياسي، سيبقى فطوليا إذا لم نربطه بكفاح أوسع نطاقا. ورفعت وثيقة الاستقلال في 11 يناير 1944، ونظمت مظاهرات شعبية ضخمة، فحفزتنا هذه الأحداث الجسيمة إلى التفكير بجدية، كما شهدت نفس الفترة تصاعد الكفاح ضد الفاشية، ومساهمة اليسار والحزب الشيوعي في المقاومة بفرنسا، كل هذا دفع بالعديد من اليهود إلى الالتحاق بالحركة الوطنية، وأكثرهم بواسطة الحزب الشيوعي المغربي الفتي الذي تأسس سنة 1943. كنا أقلية، لكن ظهر على صعيد كافة الجماعات اليهودية مظهر التعلق بالبلد، وكان هذا التعلق يتضمن نفس الخصوصية التي تطبع وضعية وإطار السكان اليهود كأقلية تقيم ببلد إسلامي ... وشارك بدورهم أحبارنا وتقاليدنا وشيوخنا على طريقتهم في الكفاح ضد الاستلاب، وضد الاحتلال الاستعماري في الوسط اليهودي، لذا فإن الجماعات اليهودية لم تكن أجنبية عن الكفاح الوطني، بل أن بعض عناصرها انضموا إلى المقاومة بنفس ظروف الجماهير الإسلامية. وشاركوا في تأسيس الأحزاب، وفي توزيع المناشير، وفي المظاهرات، وعرفوا الاعتقال والمنفى، كما ساهموا في نشاط الحركة الوطنية الذي كان يهدف إلى تحويل كافة المغاربة، سواء كانوا رعايا أو ذوي الامتيازات أو محميين إلى وضعية مواطنين، في إطار دولة عصرية وديمقراطية. ومن هذه الزاوية تمكن المناضلون اليهود من إرضاء طموحهم إلى العصرنة... (Levy Joseph, 1981. Pp. 105-152) .

تدفعنا هذه المذكرات الى طرح مجموعة من التساؤلات حول عدم سعي قطبي الحركة الوطنية إلى استقطاب اليهود وملائمة توجهاتها وخلفياتها الإيديولوجية مع تطلعات هذا المكون الأساسي للمجتمع المغربي؟.لا نعثر في مذكرات الوطنيين على ما يدل على التفكير في تعزيز الصفوف

بعناصر يهودية وازنة، وهو ما يعكس نوعا من عدم الاكتراث بالعنصر اليهودي في حد ذاته، وما يمكن أن يكسبه للقضية الوطنية من تعزيز للجبهة الداخلية، وفي مواجهة إدارة الحماية وكذلك في الخارج.

لقد بينت العديد من الدراسات أن الوطنيين كثفوا بدءا من سنة 1954 من اللقاءات والمحادثات مع أطر المؤتمر اليهودي العالمي وتنظيمات يهودية أخرى للحصول على دعمها (محمد حاتمي، 2016، ص65-112)،وأكدوا لمخاطبيهم أنهم عاقدون العزم على إدماج المكون اليهودي في المجتمع المغربي، و تخصيص اليهود بمناصب وزارية و في الوزارات والإدارات، وتسيير المقاولات، وفي أسلاك التعليم والإدارة العمومية (M.Benjelloun, 1955, p.1.7.8)، ولكنهم على أرض الواقع لم يتبنوا حملات تأطيرية في الملاحات.

ولتوضيح الأمور أكثر، وجب الإقرار بأن تجاهل اليهود لم يكن مقصودا ولا كان فيه ما ينم عن نية في الإقصاء، ولكنه كان من صميم المعين الديني الإسلامي للخطاب والفعل الوطنيي. إن أي طرح سوي يستوجب بالضرورة التذكير بالمكانة الرفيعة للسند الديني من حيث المرجعيات والأسانيد، والهيكلة والتنظيم، والتفعيل وأساليب العمل والاستقطاب، وكذلك الغايات القريبة والمتوسطة وبعيدة المدى. لقد تأسست كتلة العمل الوطني، ثم ما تفرع عنها في وقت لاحق، على أساس التنظيم المعتمد في الزاوية، وهي مسألة تتطلب الإقرار بمجموعة من العناصر المؤسسة تجعل من الصعب، وأحيانا من غير الوارد أصلا، انضمام أشخاص غير مسلمين وإدماجهم في خلايا مغلقة ومنغلقة. إن فرض "القسم" على المستقطبين، ويفترض عمليا وضع اليد اليمنى على المصحف الشريف، من الطقوس التي لا يمكن أن يمر منها اليهود. ثم إن الالتزام بالسرية والتكتم، أمرا كان ممكنا في الأحياء المسلمة، ولكنه من شبه المستحيل في الملاحات بالنظر لارتفاع الكثافة، وصعوبة ضبط مسالك التأطير التي استأثرت بها ميدانيا التنظيمات الصهيونية، وكان لها فضلا عن السبق، خاصية التنظيم المحكم والمنضبط للعديد من الإجراءات التي أبانت عن نجاعتها في فضاءات أهلها مستعدون للهجرة وترك كل شيء للالتحاق ببني الملة الذين أسسوا فوق "أرض الميعاد" دولة شعارها هو نصرة اليهود ولمهم تأسيسا على وطنية من نوع خاص وفريد، تمزج بين الأسانيد الدينية والعرقية والعلمانية.

ومهما يكن من أمر فإن حالة "التيه الجماعي" والفراغ التأطيري التي اخترقت أسبابها أحياء الملاحات في المدن والقرى النائية، واستفحلت أعراضها في الأنفس وظهرت في أشكال مرضية متنوعة، جعلت عموم اليهود مهيئين للانجرار وراء الدعاية الصهيونية، لاسيما بعد أن تهيأت للمنظمة الصهيونية العالمية الظروف المواتية للاشتغال في عين المكان، وأسست لها فروعا في جل المدن.

لقد استفاد التأطير الصهيوني من انشغال الوطنيين بالمرة بالصراع ضد فرنسا، وفتحوا جبهات متعددة قارعوها بمهنية واحترافية من مستوى عال. والحال أنه ما بات يعني آلاف "البؤساء" استقلال

المغرب من عدمه. لقد أدركوا أن فرنسا التي عولوا عليها كثيرا، تنكرت لهم وبدأت في حزم حقائبها تاركة إياهم لمصير صور لهم بأنه مجهول ومفتوح على جميع الاحتمالات، لاسيما الأسوأ منها. وغني عن البيان أن تنكر فرنسا وهي القوة التي إلى حد قريب كان لا يشق لها غبار، وأعطت الانطباع بأن زمنها دائم إلى الأبد، جعل اليهود يشكون في كل شيء، وبالأخص في الوعود التي قطعها الوطنيون المغاربة على أنفسهم، ومماروجته بعض الصحف اليهودية. والحق أنه ما كان للوعود والالتزامات، وحتى تلك التي عبر عنها السلطان في منفاه وفور عودته إلى أرض الوطن، أن توقف المد الصهيوني، ولا حتى أن تعرقله. لقد نجح الاستقطاب الصهيوني فعلا وفي وقت قصير من إقناع دواوير بأكملها، وقرى وأحياء بجمع الحقائب، وركوب بواخر كبيرة استقدمت خصيصا لنقل اليهود من ميناء الدار البيضاء صوب ميناء حيفا.

الخاتمة:

لقد قادنا البحث في موضوع "اليهود المغاربة والحركة الوطنية" إلى الوقوف على طبيعة العلاقات التي جمعت بين مختلف أقطاب الحركة الوطنية واليهود المغاربة ورصد المواقف المتباينة لعدد من اليهود المغاربة، خاصة النخب، من نظام الحماية بالمغرب وهو ما انتهى بنا تكوين صورة مقربة عن مواقف اليهود المغاربة من الحماية والحركة الوطنية، الأمر الذي نرجو من خلاله الإسهام في إخراج هذا الجزء من الذاكرة المغربية الذي ظل مغيباً لعدة عقود من غياهب النسيان إلى نور البحث العلمي ورحابته.

وعلى الرغم من الإرث التاريخي والديني الذي أبعد اليهود عن الخوض في أمور السياسية، والتوجهات التغريبة التي انتهجتها سلطات الحماية من أجل فصل المكون العبري عن المكون الإسلامي للمجتمع المغربي، ضعف سعي أقطاب الحركة الوطنية إلى استقطاب اليهود للعمل الوطني، إلاأن أصالة الانتماء انتصرت ودفعت بعدد كبير من اليهود المغاربة إلى الانخراط في مسلسل المقاومة والكفاح من أجل نيل الاستقلال وهو ما حفظته الذاكرة المغربية وهو أيضا ما عملنا على نفض الغبار عنه من خلال هذا الاسهام العلمي الذي نعده خطوة تستوجب خطوات من أجل إعادة ترتيب الذاكرة المغربية وقراءتها. وأخيراً؛ يبقى البحث عن موضوع اليهود المغاربة والكفاح الوطني أمرا ضروريا، لفهم مجموعة من القضايا الهامة المرتبطة بالطائفة اليهودية كقراءة في الوضع الجديد لهذه الفئة على عهد الحماية الفرنسية. وأسباب تأرجح المواقف بين الإنخراط في الحركة الوطنية المغربية والحياد في العديد من المحطات النضالية التي شهدها المغرب. ويبقى السؤال دائما مطروحا عن الأدوار السياسية والنقابية والاجتماعية لهذه الفئة سؤالا يفرض نفسه وموضوعا محفزا للبحث والتنقيب للمهتمين بهذا العنصر الذي ساهم بشكل كبير في المحتمع المغربي على العموم.

قائمة المصادر والمراجع:

1. حاتمي، محمد (2016). المؤتمر اليهودي العالمي والوطنيون المغاربة 1944-1955، (العدد LI): هسبريس تمودا.

2. هاني، وسام (2018). اليهود المغاربة خلال الحرب العالمية الثانية 1939-1949. (ط1). الرباط: دار أبي رقراق للطباعة.

3. Ayach, Albert, René Gallissot et autres, (1998). DictionnaireBiographique du mouvementouvrier: Des origines à 1956, Paris: Ed. de l'Atelier.

4. Memi, Albert (1967). Portrait du colonisé, Paris: Ed. Gallimard.

5. Heckman, Alma (2021). The Sultan's Communists: Moroccan Jews and the Politics of Beloning, Stanford: Stanford UniversityPress.

6. André Julien, Charles (1978). Le Maroc face aux impérialismes, Paris: Editions Jeune Afrique.

7. Interview accordée par M. Benjelloun, interview accordée par M. Bouabid (novembre 1955), L'avenir du judaïsme marocain, La Voix des Communautés, n. 56,.

8. Joseph, Levy (1981). Témoignage d'un militant juif marocain , in:juifs du Maroc:Identité et dialogue, actes de colloque international sur la communauté juive marocaine:vie culturelle histoire sociale et etévolution, Paris: éd. La pensée sauvage.

9. Rezette, Robert (1955). Les partis politiques marocains, Paris: Armand Collin.

10. Lévy, Simon (1978). Les Juifs et la libérationnationale au Maroc, Paris: Nouvelles Perspectives.

11. Laqueur, Walter (2007). Communism and Nationalism in the Middle East, New York: Keessing Rares Reprinting.